المنهج النبوي في ترسيخ قيم المواطنة الصالحة

الدكتور : خليل نوري العاني

جامعة الأنبار / كلية التربية - القائم

ملخص البحث:
إن مفهوم المواطنة يكاد يوازي مفهوم الإيمان ومصطلح المواطن مواز لمصطلح المؤمن في الشريعة الإسلامية وفي الفكر الإسلامي وإننا كمسلمين عندما نتكلم عن مفهوم وقيم المواطنة فإننا لا نبتعد كثيرا في حديثنا عن مفهوم وقيم الإيمان والإسلام كدين وكشريعة وكسلوك ديني، والإيمان والمواطنة كلاهما سلوك وعطاء وليس مجرد كلام وادعاء (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)وفي هذا البحث سأستعرض دور النبي صلى الله عليه وسلم في ترسيخ الإحساس والشعور بالمواطنة وكيف زرعها في قلوب أتباعه وكيف عزز قيم المواطنة وربى عليها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم

عناصر البحث :

- **المقدمة**
- **بين مصطلحي الإيمان والمواطنة الصالحة**
- **المنهج النبوي في ترسيخ مفهوم المواطنة لدى أتباعه**
- **المنهج النبوي في ترسيخ قيم المواطنة لدى أتباعه**
- **مخرجات المنهج النبوي في التربية على المواطنة وقيمها**
- **الخاتمة**

Research Summary

The concept of citizenship is almost equivalent to the concept of faith and the term citizen is parallel to the term of the believer in Islamic law and Islamic thought and we as Muslims when we talk about the concept and values of citizenship, we do not go far in our talk about the concept and values of faith and Islam as religion and Sharia and religious behavior, and faith and citizenship both behavior and giving, The Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him), "I will review the role of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) in establishing a sense of citizenship and how he planted it in the hearts of his followers and how he strengthened the values of citizenship.

Search elements:

- **Introduction**

-Between the terms of faith and good citizenship

-The Prophet's approach in establishing the concept of citizenship among his followers

-The Prophet's approach in establishing the values of citizenship among his followers

-The outputs of the Prophet's curriculum in education on citizenship and its values

- **Conclusion**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله وأصحابه الى يوم الدين، وبعد:

لقد أضحى مفهوم المواطنة، احد أهم المفاهيم التي تعنى وتهتم بها الدول المتقدمة في الوقت الحاضر، وأصبحت المصطلحات الرئيسية التي يتداولها المفكرون والسياسيون والإعلاميون والتربويون هي ما يتعلق بمبدأ المواطنة وما يدور حولها من مفاهيم مثل: قيم المواطنة، والتربية المواطنية، والمواطنة الصالحة، والمواطنة المستدامة، فضلا عن مواضيع شتى في كيفية ترسيخ قيم المواطنة وتعزيزها لدى الأجيال الحاضرة والقادمة .

إن وجود مثل هذه القيم كواقع عملي معاش في أي شعب أو امة يعني وجود دولة أو امة قوية ومزدهرة، تعيش في أمان واطمئنان، ويحسب لها عدوها ألف حساب قبل أن ينوي أن يمسها بسوء، ذلك أن فيها مجتمع متماسك، وحكومة رشيدة، ومواطنين صالحين. وفيها احترام للقانون، الذي يطبق على القوي قبل الضعيف، وعلى الغني قبل الفقير، وعلى الراعي قبل الرعية.

وهذا الأمر ليس بالسهل اليسير على الدول والأمم والحضارات، بل إن ترسيخ وتعزيز هذه القيم لدى المواطن يتطلب الكثير. وقد تدعي امة او دولة او حكومة ما، أنها تنعم بمجتمع متماسك، ومواطنين صالحين، ينعمون بقيم المواطنة الصالحة. ولكن عند الشدائد والملمات يتبين كذب وزور هذا الادعاء، بل ويتبين مدى البون الشاسع بين ما تدعيه تلك الدولة او الحكومة وبين حقيقة مواطنيها ومجتمعها .

إن ترسيخ قيم المواطنة الصالحة لدى الأفراد والجماعات داخل الوطن او الأمة يحتاج أولا وقبل كل شيء الى قيادة صالحة، حكيمة وعادلة، تؤمن بالحق والعدل والمساواة، وتحترم إرادة مواطنيها وتعمل من اجل سعادتهم ورفاهيتهم وضمان أمنهم واستقرارهم، تعطيهم من وقتها وراحتها، وتلبي رغباتهم وطموحاتهم ومطالبهم. قبل أن تطلب منهم أن يعملوا من اجل سيادة الدولة وسيادة القانون، او الدفاع عن الدولة وعن الوطن وعن القانون.

وهو عين ما تجلى وبأبهى صورة وأنقاها في تاريخ البشرية، في التربية النبوية والمنهج النبوي الذي اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم في

ترسيخ حس المواطنة الصالحة لدى أتباعه، والعمل على تعزيز قيمها وديمومة هذه القيم، فأدى النبي صلى الله عليه وسلم دوره كقائد لهذه الأمة بأفضل ما يمكن أن يؤديه بشر. وهو ما تم إثباته في هذا البحث، من خلال الأدلة الشرعية والأدلة التاريخية. بالإضافة الى أمور أخرى تضمنها هذا البحث وهي :

-إن مصطلح المسلم في المفهوم الديني يقابله مصطلح المواطن في المفهوم السياسي، ومصطلح المؤمن في المفهوم الديني يقابله مصطلح المواطن الصالح في المفهوم السياسي، وعليه فكما انه ليس كل مسلم هو بالضرورة مؤمن في الشريعة الإسلامية، فكذلك ليس كل مواطن هو بالضرورة مواطن صالح في المفهوم السياسي .

-إننا كمسلمين عندما نتكلم عن مفهوم وقيم المواطنة الصالحة، فإننا لا نبتعد كثيرا في حديثنا عن مفهوم وقيم الإيمان، فالإيمان والمواطنة الصالحة كلاهما:(سلوك وعطاء، وليس مجرد كلام وادعاء).

-إن احد أهم أسباب النجاح في إقناع أفراد الشعب في أن يكونوا مواطنين صالحين، وان يلتزموا بقيم المواطنة الصالحة، هو وجود قضية يؤمنون بها حق الإيمان، وان يتوفر لديهم الاستعداد الصادق للتضحية بالغالي والنفيس من اجلها، فضلا عن ضرورة وجود قادة أو حتى أشخاص يكونون قدوة وأسوة لأفراد هذا الشعب ، في الايمان بهذه القضية وفي التضحية لأجلها .

-إن أزمة القيم التي تعاني منها امتنا اليوم هي في أساسها أزمة ثقة، بين الراعي والرعية، وان المبادرة والخطوة الأولى في كسر أزمة الثقة هذه، يجب أن تكون من الراعي، ليكون قدوة لرعيته، حتى إذا ما طالب رعيته بحسن المواطنة والالتزام بقيمها لبوا نداءه ،كما فعل نبينا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم .

الدراسات السابقة:

لقد أجريت العديد من الدراسات التي تتناول موضوع المواطنة والقيم كل على حدة، أما الدراسات التي تناولت موضوع قيم المواطنة فليست بالكثيرة وخاصة منها ما يتعلق بالمنهج النبوي في ترسيخ وتعزيز هذه القيم، إلا أن هناك بعض الدراسات تطرقت الى هذا الموضوع وان بصورة غير مباشرة منها :

١-دراسة أبو نوف ٢٠٠٤: (تربية المواطنة من منظور إسلامي): هدفت الدراسة إلى تحديد مفهوم تربية المواطنة في الإسلام، والى بيان أهداف

هذه التربية، والكشف عن سمات المواطن الفاعل من وجهة النظر الإسلامية، وما هي واجبات المواطن تجاه الآخرين. وخلصت الدراسة الى: توجيه المتعلمين نحو الاقتداء بالرسل والأنبياء، وإكساب المتعلمين معايير الصحبة الصالحة، وتشجيع وتحفيز أنماط السلوك الايجابي نحو الوطن .

٢-دراسة خطاب (حقوق المواطنة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة): وقد تطرقت هذه الدراسة الى بيان أسس المواطنة وخصائصها في ضوء الكتاب والسنة، فضلا عن التأصيل الشرعي لها، وأيضا الى بيان واجبات وحقوق المواطنة في ضوء الكتاب والسنة، وانتهى البحث الى أن الإسلام يحث المسلم على الارتباط بالوطن والولاء له، وان المواطنة لا تستدعي فقط أن يطلب الإنسان حقوقه بل عليه أن يؤدي واجباته ايضا.

٣- دراسة القحطاني ٢٠١٠: (قيم المواطنة لدى الشباب وإسهامها في تعزيز الأمن الوقائي): تهدف دراسة القحطاني الى بيان أهمية قيم المواطنة لدى فئة الشباب، لكونها تسهم بشكل فاعل في تشكيل شخصياتهم وتصويب سلوكياتهم، لما فيه خيرهم وخير بلدهم، وقد خلصت الدراسة الى أمور كثيرة منها: ضرورة توفير العدالة الاجتماعية والمساواة للجميع دون استثناء، وإظهار القدوة الصالحة بموضوعية وتشجيعها ومكافأتها .

بين مصطلحي الإيمان والمواطنة الصالحة:

الإيمان لغة:(التصديق، التهذيب، والإيمان مصدر من آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن)[١] . أما شرعا فقد ذهب جمهور العلماء من أهل السنة والجماعة كمالك والشافعي وابن حنبل والاوزاعي واسحق ابن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين الى أن الإيمان هو:(التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان).[٢]

لقد أثار موضوع مفهوم الإيمان جدلا كبيرا وخلافا كثيرا بين الفرق الإسلامية، إلا أن الذي يعنينا أكثر والذي له علاقة بموضوعنا هو ما عبر عنه الإمام الطحاوي في مجمل تعريفه للإيمان بقوله:(والإيمان واحد، وأهله في

---

[١] - ابن منظور – محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين– لسان العرب – دار صادر – بيروت – ط٣ – ١٤١٤ ه – ج١٣ –ص٢٣ .

[٢] - ابن أبي العز – صدر الدين محمد بن علاء الدين علي محمد الدمشقي – شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق جماعة من العلماء – دار السلام للطباعة والنشر – مصر – بدون(ت) - ج١- ص٣٣٢ .

أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى).[٣]

فالإيمان عند أهل السنة والجماعة يزيد وينقص، يزيد بالطاعات والعمل الصالح، وينقص بالمعاصي والعمل السيئ، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون–أو بضع وستون– شعبة فأفضلها قول لا اله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)[٤] ، دليل على أن الإيمان درجات ومراتب يحظى منها المسلم بقدر استطاعته وجهده وإخلاصه وصدقه وجديته ورغبته في مرضاة الله تعالى .

وقد عد الإمام البيهقي أكثر من سبعين شعبة من شعب الإيمان [٥]، جمعها من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولو تتبعناها لوجدنا فيها الكثير من المبادئ والسلوكيات الدينية والدنيوية، التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليسير عليها المؤمن في حياته، وليسمو بأقصى ما يستطيع بإيمانه، مرضاة لربه أولا، ومن اجل الوصول الى أعلى درجات الرقي الحضاري ثانيا .

وفي وصف سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه بقوله:(لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم)[٦]، دليل آخر، فهناك إيمان، وهناك أيضا إيمان راسخ رسوخ الجبال ، وهناك مؤمن، وهناك أيضا مؤمن ثابت الإيمان لا يتزعزع .

فكما انه لا يمكن مقارنة إيمان أبي بكر بإيمان احد من الصحابة، كذلك لا يمكن مقارنة إيمان جيل الصحابة بإيمان أي جيل آخر من المسلمين، فهؤلاء سمو بإيمانهم نتيجة أعمالهم وإخلاصهم وصدقهم، وهذا ما يعنينا هنا، الإيمان كسلوك وعمل، وماذا يعني أن أكون مؤمنا، وما الذي يترتب عليه كوني فردا ضمن الأمة الإسلامية أو الدولة الإسلامية ؟

---

[٣] - المصدر نفسه – ج١ – ص٣٣٢

[٤] - مسلم – أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري – صحيح مسلم – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي-بدون (ت) – بيروت – ج١- ص٦٣ – رقم الحديث ٥٨ .

[٥] - ينظر : البيهقي – احمد بن الحسين بن علي أبو بكر – شعب الإيمان – تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد – مكتبة الرشد – الرياض – ط١ – ٢٠٠٣ – ج١ – ص٩٢ .

[٦] - الخلال – أبو بكر احمد بن هارون – السنة – تحقيق : عطية الزهراني – دار الراية – الرياض – ط١- ١٩٨٩ – ج٤- ص٤٤ .

جزء كبير من الإجابة على هذا السؤال نجده في الوثيقة النبوية المشهورة بصحيفة المدينة، التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم بصفته المسؤول الأعلى والحاكم الأول لمدينة يثرب برضا ومباركة أهلها ، وقد شاركه في كتابتها ووضعها ممثلين عن كافة سكان الدولة الجديدة على اختلاف أديانهم وطوائفهم وأعراقهم وقبائلهم .

فكان مما جاء فيها:(بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم امة واحدة من دون الناس ...

- **وان المؤمنين لا يتركون بينهم مفرحا (صاحب دين ثقيل غير قادر على أدائه) أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.**
- **وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة (ما ينال عنهم من ظلم) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وان أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد احدهم.**
- **ولا يقتل مؤمنا في كافر ولا ينصر كافرا على مؤمن.**
- **وان ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم .**
- **وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.**
- **وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .**
- **وان المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه .**
- **وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم).**[٧]

فكانت هذه الوثيقة بمثابة الدستور للدولة الجديدة الناشئة لتنظيم أمورها وسياسة أهلها، ومن اجل أن تعرف كل جماعة ويعرف كل فرد فيها حقوقه وواجباته، وما هي وظيفته ودوره في هذه الدولة، وهذا هو المغزى وبيت

---

[٧] - ابن هشام – عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري – السيرة النبوية – تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي– مطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر – ط٥ – ١٩٥٥– ج١– ص٥٠٢-٥٠٤

القصيد(الحقوق والواجبات)التي يتفاوت بها المؤمنون وتتفاوت بالتالي درجاتهم ومراتبهم، فكلما علا انضباط والتزام المسلم بالواجبات المنوطة به من قبل الشارع والمنصوص عليها في الكتاب والسنة، أو المتفق عليها في الدستور، سواء أكانت هذه الواجبات دينية أم دنيوية، علا مقامه وشأنه:

عند الله سبحانه وتعالى، يقول سبحانه: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }[٨] . وقوله تعالى:{ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا }[٩] . وقوله تعالى :{ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى }[١٠] .

وعند رسوله صلى الله عليه وسلم، فيما ورد عن أبي الدرداء رضي الله عنه انه قال:(كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ اقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « أما صاحبكم فقد غامر» فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليَ، فأقبلت إليك، فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر» ثلاثا ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر، حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله والله أنا كنت اظلم مرتين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:« إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل انتم تاركو لي صاحبي» مرتين فما أوذي بعدها).[١١]

وعن خالد بن الوليد قال :كان بيني وبين عمار بن ياسر كلام فانطلق عمار يشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فجعل خالد لا يزيده إلا غلظة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت، قال: فبكى عمار، وقال: يا رسول الله ألا تسمعه؟ قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي رأسه

---

[٨] - سورة الحجرات – من الآية ١٣ .
[٩] - سورة النساء – الآية ٩٥ .
[١٠] - سورة الحديد – من الآية ١٠
[١١] - البخاري – محمد بن إسماعيل – صحيح البخاري – تحقيق : مصطفى ديب البغا – دار ابن كثير – اليمامة – بيروت- ط٣- ١٩٨٧ – ج٣ – ص١٣٣٩ – رقم الحديث ٣٤٦١ .

وقال: من عادى عمارا عاداه الله ومن ابغض عمارا ابغضه الله». قال: فخرجت فما كان شيء أحب إلي من رضا عمار فلقيته فرضي» .[١٢]

وعن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وأبا مرثد الغنوي وكلنا فارس فقال: (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين). قال: فأدركناها تسير على جمل لها حيث قال لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال: قلنا: أين الكتاب الذي معك؟ قالت: ما معي كتاب. فأنخنا بها فابتغينا في رحلها فما وجدنا شيئا. قال صاحباي: ما نرى كتابا. قال: قلت: لقد علمت ما كذب رسول الله صلى الله عليه و سلم، والذي يحلف به لتخرجن الكتاب أو لأجردنك. قال: فلما رأت الجد مني أهوت بيدها إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجت الكتاب، قال: فانطلقنا به إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال:(ما حملك يا حاطب على ما صنعت). قال: ما بي إلا أن أكون مؤمنا بالله ورسوله وما غيرت ولا بدلت، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس من أصحابك هناك إلا وله من يدفع الله به عن أهله وماله. قال:(صدق فلا تقولوا له إلا خيرا)، قال: فقال: عمر بن الخطاب إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فأضرب عنقه. قال: فقال:(يا عمر وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة) . قال: فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم) [١٣].

وليس هذا فقط، وإنما أيضا يعلو سقف الحقوق التي يستحقها هذا المسلم في أعراف وقوانين ونظام الدولة الإسلامية، وهو ما نراه في فضائل ومراتب ودرجات صحابة دون آخرين، نتيجة لأمور تتعلق بمواقفهم وتضحياتهم من اجل أمر هذا الدين، وقيام الدولة الإسلامية الجديدة وبنائها، ما نتج عنه اختلاف استحقاقاتهم الدنيوية .[١٤]

---

[١٢] - ابن حبان – محمد بن حبان بن احمد بن حبان – صحيح ابن حبان – تحقيق : شعيب الارنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢ – ١٩٩٣ – ج١٥ – ص ٥٥٦ – رقم الحديث ٧٠٨١ – وعلق عليه الشيخ شعيب الارنؤوط بالقول: صحيح على شرط الشيخين . وذكره الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين – ج٣ – ص٤٤١- رقم الحديث ٥٦٧٤. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع – ج٢ – ص١٠٩١ – رقم الحديث ٦٣٨٦ .

[١٣] - صحيح البخاري - ج٥ – ص ٢٣٠٩ – رقم الحديث ٥٩٠٤ – مصدر سابق .

[١٤]- ينظر بخصوص هذا الموضوع : الماوردي – ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب – الأحكام السلطانية-دار الحديث القاهرة – بدون (ت)- ج١ – ص٣٠٠ .وأيضا : ولد يب – سيدي محمد – الدولة الراعية في الإسلام – دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع – الأردن – ٢٠١٥ – ص ١٩١ -١٩٥ .

مثال ذلك ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه لما فتح الفتوح وجاءته الغنائم والأموال جعل يقسمها بين الناس على حسب أسبقيتهم بالإسلام، وإيمانهم، ومواقفهم وتضحياتهم من اجل نصرة الدين وإقامة الدولة الإسلامية، وقال:(لا اجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه، ففرض للمهاجرين والأنصار ممن شهد بدرا خمسة آلاف خمسة آلاف، وفرض لمن كان له الإسلام كإسلام أهل بدر ولم يشهد بدرا أربعة آلاف أربعة آلاف... وجاءه طلحة بن عبيدا لله بأخيه عثمان ففرض له ثمانمائة، فمر به النضر بن انس بن النضر، فقال عمر: افرضوا له في ألفين، فقال طلحة: جئتك بمثله ففرضت له ثمانمائة درهم وفرضت لهذا ألفين، فقال: إن أبا هذا لقيني يوم أحد فقال لي: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: ما أراه إلا قد قتل، فسل سيفه فكسر غمده، وقال: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فان الله حي لا يموت، فقاتل حتى قتل، وهذا كان يرعى الشاء في مكان كذا وكذا)[١٥] .

وورد عن مخلد الغفاري : (أن ثلاثة مملوكين شهدوا بدرا فكان عمر يعطي كل رجل منهم ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف)[١٦] .

وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص : (أن افرض لمن بايع تحت الشجرة مائتين من العطاء) [١٧] .

وما هذا إلا لتميز هؤلاء بأعمالهم وسلوكهم وعطاءهم وإخلاصهم وبالمجمل بإيمانهم ، وهم نتيجة لهذا محط ثقة من الله ورسوله ومن المؤمنين، قال تعالى في حقهم : { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا } [١٨] .

يقول الطبري في تفسير هذه الآية:(أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضرّاء، وحين البأس(فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ)فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر، وبعض يوم أحد، وبعض في غير ذلك من المواطن(وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) قضاءه

---

[١٥] - ابن أبي شيبة – أبو بكر عبدا لله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار – تحقيق : كمال يوسف الحوت – مكتبة الرشد – الرياض – ط١ – ١٤٠٩ ه – ج٦ – ص ٤٥٢ .

[١٦] - المصدر نفسه – ج٦ – ص ٤٥٥ .

[١٧] - ابن زنجويه – أبو احمد حميد بن مخلد بن قتيبة – الأموال تحقيق : شاكر ذيب فياض – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – السعودية – ط١ – ١٩٨٦ – ج٢- ص ٥٠٦ .

[١٨] - سورة الأحزاب - الآية ٢٣

والفراغ منه، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده، والنصر من الله، والظفر على عدوّه)[١٩] .

فيما هناك في نفس الوقت مسلمون آخرون هم ضمن الأمة الإسلامية، ولا احد يستطيع أن يقول غير ذلك، ولكن!؟ هناك فرق كبير بينهم وبين من تم ذكرهم – في أعلاه- من ناحية الإخلاص والعمل لدين الإسلام ودولته، وهؤلاء هم المنافقون او الأعراب او المرجفون او المخلّفون او مرضى القلوب او غيرها من الأوصاف التي وصفهم بها القران الكريم، قال تعالى:{ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا}[٢٠] .

وأيضا قوله تعالى:{ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }[٢١] .

ففي هذه الآيات نجد بيانا واضحا من الله تعالى بان هناك نوعان من المسلمين مسلم ومؤمن، وان المؤمنين الحقيقيون هم الذين تتوفر فيهم هذه الصفات، وهي بالتأكيد غير موجودة عند أولئك النفر من الأعراب ولا عند المنافقين .

يقول الطبري في تفسيرها :(إنما أمر النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بذلك، لأن القوم كانوا صدّقوا بألسنتهم، ولم يصدّقوا قولهم بفعلهم، فقيل لهم: قولوا أسلمنا، لأن الإسلام قول، والإيمان قول وعمل)[٢٢] .

وما من قول ابلغ من قول الله تعالى في وصف هذه الشريحة من المجتمع وبيان كيفية النظر إليها وكيفية التعامل معها وإنزالها منزلتها التي تستحقها، سواء في الدنيا أم في الآخرة.

يقول سبحانه وتعالى فيها : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤) وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥)

---

[١٩] - الطبري- محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر – جامع البيان في تأويل القران - تحقيق: احمد محمد شاكر- مؤسسة الرسالة - ط١- ٢٠٠٠ – ج٢٠ – ص٢٣٧ .

[٢٠] - سورة الأحزاب – الآية ٦٠ .

[٢١] - سورة الحجرات – الآيات ١٤- ١٥.

[٢٢] - تفسير الطبري- ج ٢٢ – ص ٣١٤- مصدر سابق .

فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨) الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠) فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣) وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ}[٢٣] .

لقد أخلت هذه الفئة بشروط الإيمان التي نص عليها الشارع، وأخلت بالعهود والمواثيق التي اتفق عليها في دستور المدينة، وبتعبير أدق أخلت بواجباتها تجاه الدولة التي تحتضنهم وترعاهم وتوفر لهم كافة الحقوق التي لغيرهم من المسلمين سواء بسواء، فارتكبوا كل ما يخالف الانتماء والولاء لدينهم ولنبيهم ولدولتهم ولقومهم .

ذلك أن تعريف الانتماء هنا هو: الانتساب الحقيقي للدين والوطن فكرا تجسده الجوارح عملا، والاعتزاز بكل مكوناته الثقافية والبشرية والمادية، وجعل مصلحته فوق كل مصلحة والتفاني في خدمته والاستعداد للتضحية في سبيله والدفاع عنه .[٢٤]

أما الولاء فهو: شعور داخلي يدفع الإنسان للأخلاق والوفاء لأولي الأمر في الوطن وتاريخه والاهتمام بخير الوطن ورفاهيته وتقدمه والعمل على تدعيمه في مواجهة التحديات والظروف الصعبة .[٢٥]

فقام هؤلاء بكل ما يخالف ويناقض هاتين الصفتين فكذبوا وخانوا ونقضوا العهود والمواثيق وسعوا في الفتنة والإفساد في الأرض بين قومهم ، وتحالفوا مع أعداء الدين والدولة، ففضحهم الله سبحانه وكشف مخططاتهم وهددهم وتوعدهم، وأنزلهم منزلتهم التي يستحقونها في الدنيا قبل الآخرة.

---

[٢٣] - سورة التوبة – الآيات ٧٣- ٨٥ .

[٢٤] - العناقرة – محمد محمود - البواعنة – لؤي إبراهيم ، والدمنهوري – محمد سعيد – التربية الوطنية – ط١ - دار حنين للنشر والتوزيع- الأردن - ٢٠٠٨ – ص١٨ .

[٢٥] - المصدر نفسه – ص٢٠ .

وإذا أردنا أن نستخدم المصطلحات التي نستعملها في عصرنا الحاضر على هذه الحالة فان هذه الفئة قد نزعت عن نفسها صفة (المواطنة الصالحة) والتي من أهم أسسها ومقوماتها الانتماء لهذه الدولة والولاء لها، ذلك أن أمثال هؤلاء من المنافقين والأعراب ومرضى القلوب والمخلفون والمعذّرون والمثبطون والإمعات ...الخ موجودون دائما في امتنا الإسلامية وفي كل زمان ومكان، وان اختلفت أسمائهم ومسمياتهم إلا أن سلوكياتهم واحدة وأدوارهم متشابهة .

وليس معنى هذا أن ننظر الى هذا النوع من المسلمين (المواطنين) على أنهم مواطنون غير مرغوب بهم، او على أن نتعامل معهم على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية، أبدا !! فهذا ليس قصدنا ولا هو المقصود في المنظور الإسلامي، بل هم مسلمون مواطنون لهم كافة الحقوق التي لغيرهم وعليهم نفس الواجبات التي على غيرهم . غير أن العبرة هنا هو بما يقدمه المواطن المسلم او المواطن غير المسلم ممن يعيش في كنف ورعاية الدولة الإسلامية من التزام بدينه، أومن خدمات لوطنه ودولته، وإخلاص لها.

وعليه وبما أن هناك فرق بين الإسلام والإيمان، وبين المسلمين والمؤمنين، وانه ليس كل مسلم هو بالضرورة مؤمن، فينبغي إذن أن نفرق في مفهومنا الإسلامي بين المواطنة والمواطنة الصالحة، وبين المواطن والمواطن الصالح، فليس كل مواطن هو بالضرورة مواطن صالح .

ذلك أن المواطن الصالح في المفهوم الإسلامي وفي تاريخ امتنا الإسلامية وفي واقعها هو: (المسلم المتشبع بقيم دينه وروح أحكامه فمثله لا يملك إلا أن يكون مواطنا صالحا، مسؤولا، متضامنا، غيورا على وطنه) [٢٦] .

والمواطنة في المفهوم الإسلامي لها خصوصية يجب أن نقف عندها ونبينها، فالإسلام هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، الشريعة الإسلامية المحمدية هي خاتمة الشرائع السماوية التي ارتضاها الله سبحانه وتعالى لبني ادم جميعا، كي تسعدهم، وتصلح شانهم، وتقُّوم نظام حياتهم الى يوم القيامة، فجاءت هذه الشريعة بنظام متكامل في بعدها الديني والأخلاقي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، يعيش الجميع في ظلها بأمان ووئام، من آمن بها، ومن لم يؤمن، فالإسلام كدين، وكدولة، وكنظام يستوعب الجميع المسلم وغير المسلم .

ومن هنا تأتي النظرة الإسلامية لمبدأ ومفهوم المواطنة ، فهذا المصطلح وان كان غير موجود في أصله في لغتنا العربية، وغير موجود في تاريخنا وتراثنا الإسلامي، إلا أن معناه وسلوكه وتمثلاته وتجلياته وافرة فيهما.

---

[٢٦] - خطاب – حسن السيد – حقوق المواطنة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة – ص١٢- من على الموقع: www.saaid.net

ذلك أن:(القيمة ليست في المصطلحات بذاتها، وإنما في المضامين التي تحملها، ثم في تجليها في الواقع العملي في الحياة)[٢٧].

ولا أجد مبررا للكثير من الكتاب والباحثين بهذا المجال وهم يتباكون ويتحسرون على عدم وجود هذه المفردة (المواطنة)في لغتنا العربية، او في تاريخنا وتراثنا الإسلامي، مع أننا نمتلك مصطلحات أكثر دقة، وشمولا، وجمالا، وهي تلتقي وتشترك مع مصطلح المواطنة في أن أساسها ومدارها هو موضوع الحقوق والواجبات، وهي مصطلحي: (الراعي)و(الرعية)، وما يمكن أن يشتق منهما، تلك المصطلحات-التي ما أخذت حقها بعد من البحث والتمحيص والدراسة- المستنبطة من حديث النبي صلى الله عليه وسلم :(ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) [٢٨].

هذا الحديث(الجامع لمقاصد السياسة الشرعية الإسلامية، الشامل والصريح في الدلالة على المسؤولية الكاملة للراعي عن رعيته، والذي هو بمثابة المشُرع والمؤسس للدولة الإسلامية العادلة)[٢٩].

هذا الحديث الذي يوجه جميع الرعية جماعة كانوا أم أفرادا، حرا كان أم عبدا، أميرا كان أم فردا اعتياديا في المجتمع، رجلا كان أم امرأة، مسلما كان أم غير مسلم مرعي ومحمي من قبل الدولة المسلمة، أنهم جميعا مسؤولون عما تحت أيديهم وتصرفهم، وهم محاسبون أمام الله سبحانه وتعالى على هذه المسؤولية، وأنهم متساوون في الحقوق والواجبات، كل حسب المكان والموقع الذي يشغله .

وليس من الصواب ايضا، ما ذهب اليه بعض الباحثين حينما لم يجدوا أصلا في لغتنا أو تاريخنا الإسلامي لمصطلح المواطنة فقالوا إن بديلها هو مصطلح مسلم !! [٣٠] .

---

[٢٧] - عبد اللطيف – سامر مؤيد-المواطنة واشكالياتها في ظل الدولة الإسلامية – مجلة الفرات - العدد ٧ – ٢٠٠٩ – مركز الفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية -كربلاء – من على موقع المركز على الانترنت: www.fcdrs.com

[٢٨] - البخاري – ج٦ – ص٦٢١١ – رقم الحديث ٦٧١٩ – مصدر سابق

[٢٩] - ولد يب – ص ٨٥ – مصدر سابق

[٣٠] - ينظر: الأفندي– عبد الوهاب- إعادة النظر في المفهوم التقليدي للجماعة السياسية: ضمن كتاب المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية– الصادر من مركز دراسات الوحدة العربية – ط٢- ٢٠٠٤ – ص٥٥.نقلا عن: جابر– ياسر حسن عبد التواب- المواطنة في الشريعة الإسلامية– دار المحدثين– القاهرة-٢٠١١– ص ٢٧

ذلك أننا سنخرج بقصور هذه الفكرة إذا أسقطنا هذا المصطلح على دستور المدينة، لأنه سيعني عندئذ أن هذا الدستور يخص المسلمين فقط، أما غير المسلمين فليسوا معنيين به، وهذا مخالف للحقيقة ذلك أن جميع سكان المدينة من المسلمين واليهود والمشركين هم تحت طائلة هذا الدستور، ولا يوجد في دستور المدينة ما يشير الى أي تقسيم طبقي او عرقي او ديني .

وهذا يعني أن الأساس الذي تشكل بموجبه دستور المدينة هو الانتماء الى مكان معين (وطن) وليس الانتماء الى دين معين، (فالإسلام لا يتعارض مع اعتماد المواطنة كوحدة بناء للجماعة السياسية، بل لا نجد مشكلة قيمية معرفية حقيقية بين مبدأ المواطنة ومبدأ الأخوة الدينية، فالأخوة هنا رابطة معنوية متحررة عن الزمان والمكان، أما المواطنة فهي رابطة التعايش المشترك بين أفراد يعيشون في زمان معين ومكان محدد ضمن وحدة سياسية تسمى الدولة)[٣١] .

فكان دستور المدينة معبرا اصدق تعبير عن قانون المواطنة العادلة والرشيدة، والتي وضع أسسها النبي صلى الله عليه وسلم. فجاء مفهوم تلك المواطنة سياسيا بامتياز، وقد احدث توازنا دقيقا ورائعا في المجتمع، على الرغم من التنوع العرقي والديني والثقافي .[٣٢]

وكانت نقطة الاعتماد والارتكاز في تحديد مدى صلاح هذه المواطنة، هو العمل والإخلاص والطاعة والالتزام بما ورد في الدستور من الأمور التي تم الاتفاق عليها، بغض النظر عن الشخص ودينه او عرقه او مكانته الاجتماعية، وفيما يلي أمثلة على نماذج من تلك المواطنة الصالحة :

-المواطن الصالح مخيريق : وهو يهودي من أهل المدينة، ومن علماء اليهود وأشرافهم، عرف ما له من حق، فادى ما عليه من واجب راضية بها نفسه، فكان مثالا للشرف والشجاعة والالتزام، وقصته كما أوردها ابن هشام:(وكان من حديث مخيريق، وكان حبرا عالما، وكان رجلا غنيا كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته وما يجد في علمه، وغلب عليه إلف دينه، فلم يزل على ذلك، حتى إذا كان يوم أحد، وكان يوم أحد يوم السبت، قال: يا معشر يهود، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم. ثم اخذ سلاحه فخرج، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُحد، وعهد الى من وراءه من قومه: إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما أراه الله. فلما

---

[٣١] - اللحيدان – عبدالله بن فهد – السياسة الشرعية بين الثيوقراطية والعلمانية : مفهوم المواطنة أنموذجا - ورقة عمل مقدمة لمؤتمر المسلمون بين السياسة الشرعية والبدائل المعاصرة – القيروان – تونس- ديسمبر ٢٠١٤ – من على الموقع : www.kep.org.sa

[٣٢] - ينظر : خطاب – حسن السيد- حقوق المواطنة وواجباتها– ص١٢ – مصدر سابق.

اقتتل الناس قاتل حتى قتل. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني – يقول مخيريق خير يهود. وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله، فعامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها)[٣٣].

-المواطن الصالح الاصيرم : واسمه عمرو بن ثابت بن وقش وكان من سكنة المدينة المنورة، وكان قبل معركة أحد ما زال على شركه، فاسلم قبيل المعركة، وذهب لنداء الواجب المقدس المفروض عليه في الدستور الذي قبله ورضي به قبل أن يسلم وقبل أن تنزل آية فرض القتال، فكان نموذجا للمواطن الصالح الذي أدى ما عليه من واجب، وكان جزاءه جنات الخلد وهو لم يسجد لله سجدة قط. ووردت قصته في سيرة ابن هشام كما يلي: (قال الحصين: فقلت لمحمود بن أسد : كيف كان شان الاصيرم ؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه فلما كان يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد، بدا له في الإسلام فاسلم، ثم اخذ سيفه فعدا حتى دخل في عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة قال :فبينما رجال من بني عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة اذا هم به فقالوا والله إن هذا للاصيرم ما جاء به ؟ لقد تركناه وانه لمنكر لهذا الحديث فسألوه ما جاء به فقالوا: ما جاء بك يا عمرو ؟احدب على قومك أم رغبة في الإسلام ؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت، ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله صلى الله الله عليه وسلم ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم . فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انه لمن أهل الجنة)[٣٤].

-المواطن الصالح سعد بن الربيع: نموذج فريد آخر من نماذج البطولة والصدق والإخلاص لله ولرسوله ولوطنه وللعهد الذي بينه وبين قائده ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإلى آخر رمق في حياته وهو يذكر نفسه ويوصي قومه بالوفاء للعقد والعهد الذي بينهم وبين من ارتضوه حاكما عليهم، فأي مواطنة صالحة أعظم من هذه، وقصته في معركة احد والمسلمون يتفقدون الشهداء والجرحى بعد انتهاء المعركة:(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يأتيني بخبر سعد الربيع؟ فاني قد رايته– وأشار بيده الى ناحية من الوادي– وقد شرع فيه اثنا عشر سنانا. قال: فخرج محمد بن مسلمة_ ويقال أبيَ بن كعب – فخرج نحو تلك الناحية. قال: وانا وسط القتلى أتعرَفهم، إذ مررت به صريعا في الوادي، فناديته فلم يجب، ثم قلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني إليك! فتنفس كما يتنفس الكير(زق ينفخ فيه الحداد) ثم قال: وان رسول الله لحي؟ قال: قلت: نعم، وقد اخبرنا انه شُرع لك اثنا عشر سنانا. قال: طُعنت اثنتي عشرة طعنة كلها أجافتني (وصل الطعن الى جوفه) ابلغ قومك الأنصار السلام وقل لهم: الله، الله ! وما عاهدتم عليه رسول الله ليلة العقبة! والله ما

---

[٣٣] - سيرة ابن هشام– ج١– ص٥١٨ – مصدر سابق.
[٣٤] - المصدر نفسه – ج٢ – ص ٩٠ .

لكم عذر عند الله ان خُلص الى نبيكم ومنكم عين تطرف! ولم ارم (فلم أمر) من عنده حتى مات. قال: فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته. قال: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل القبلة رافعا يديه يقول: اللهم الق سعد بن الربيع وأنت عنه راض) [٣٥].

-المواطن الصالح قزمان: وهو حالة استثنائية، ونموذج فريد ونادر وغريب في نفس الوقت، وكان منافقا يدعي الإسلام، وهو من سكنة المدينة المنورة، وقد شارك بمعركة احد مع المسلمين ليس حبا بهم ولا بدينهم، وإنما دفاعا عن وطنه وقومه، والتزاما بما يمليه عليه واجب المواطنة، فكان وفق معاييرها ومقاييسها مواطنا صالحا، بغض النظر عن موقفه الحقيقي من الإسلام، أو موقف الإسلام منه. وقد أورد ابن هشام قصته كما يلي: (قال ابن اسحق : وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة قال: كان فينا رجل أتى (غريب) لا يدرى ممن هو، يقال له : قزمان، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا ذكر له: انه لمن أهل النار، قال: فلما كان يوم احد قاتل قتالا شديدا، فقتل وحده ثمانية او سبعة من المشركين، وكان ذا بأس فأثبتته الجراحة، فاحتمل الى دار بني ظفر قال: فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان، فأبشر، قال: بماذا أبشر؟ فوالله إن قاتلت إلا على أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت. قال: فلما اشتدت عليه جراحته اخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه)[٣٦] .

ونستمر مع معركة احد ولكن في الاتجاه المغاير ونضرب مثالا للمواطنة غير الصالحة من مجموعة من المسلمين!! (المنافقين) يمثلهم رأس النفاق وزعيم المنافقين :

-المواطن عبدالله بن أبي سلول: وهو من أهل المدينة، وكان على وشك أن ينصبه قومه ملكا عليهم، لولا لطف الله بهم ان بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة لهم، فأنقذهم من الظلمات الى النور، فلم ير ابن سلول هذا بداً من ان يظهر للناس إسلامه، وهو في باطنه يتحين الفرص لإيقاع الأذى بالمسلمين وبرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظن أن الفرصة هذه قد حانت في معركة احد، عندما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بألف من المقاتلين لملاقاة المشركين: (حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة واحد، انخذل عنه عبدالله بن أبي سلول بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا، ها هنا أيها الناس، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب) [٣٧] .

---

[٣٥] - الواقدي – محمد بن عمر بن واقد السهمي – المغازي – تحقيق :مارسدن جونز – ط٣ - دار الاعلمي – بيروت – ١٩٨٩ – ج١ – ص ٢٩٢-٢٩٣

[٣٦] - ابن هشام – ج٢ – ص٨٨ – مصدر سابق .

[٣٧] - المصدر نفسه- ج٢ – ص ٦٤ .

إن هذه الصور والنماذج التي ذكرناها تنبهنا الى ما يلي :
- إن مشاركة يهودي، ومشرك، من سكنة المدينة في الدفاع عن مدينتهم والقتال مع المسلمين .
- ومشاركة منافق معلوم النفاق، بل ومعلوم بأنه من أهل النار، مع جمع كبير من المنافقين المتربصين بالإسلام والمسلمين في الخروج للقتال والدفاع عن مدينتهم مع المسلمين مع وجود تخوف كبير منهم ومما قد يفاجئونهم به .
-وعدم منع النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الجمع الكبير من المنافقين ومرضى القلوب من الخروج وطلب القتال معه .

كل ذلك يعطينا دليلا ومؤشرا واضحا على دولة المواطنة - ومعيارها هنا الانتماء السياسي وليس الانتماء الديني- التي أسسها الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى مفهوم المواطنة الصالحة في الدولة الإسلامية، وعلى الالتزام بدستور المدينة والرضوخ الى بنوده التي تم الاتفاق عليها، حيث أن على الجميع واجب الدفاع عنها إذا تعرضت لخطر، وبالتالي فهذا حقهم، ولا يستطيع الرسول صلى الله عليه وسلم منعهم من مزاولة هذا الحق .

(فرغم أن الحاكم للدولة كان النبي صلي الله عليه وسلم، وعليه ينزل وحى السماء بالقرآن الكريم، أي أنه قد جمع الولاية الزمنية الى النبوة والرسالة، إلا أن هذه الدولة لم تكن دولة دينية بالمعنى الذي عرفته مجتمعات غير إسلامية، وفلسفات غير إسلامية.. فهذا الدستور قد تميز عن القرآن، وإن لم يخالف وجهه ومبادئه، ورعية هذه الدولة لم تقف عند الجماعة – الأمة – المؤمنة، بل كانت رعية سياسية اتخذت من المعيار السياسي والإطار السياسي ميزانا حددت وميزت به الرعية. فهي قد شملت الى جانب الجماعة المؤمنة بالإسلام، سكان يثرب ومن آلفهم ووالاهم ولحق بهم، بمن فيهم من العرب الذين تهودوا، ومن اليهود والعبرانيين الذين حالفوا الأوس والخزرج.. وكذلك الأعراب الذين أسلموا ولما يدخل الإيمان بعد الى قلوبهم، أيضا الذين نافقوا النبي والمؤمنين، فأظهروا الإسلام، واستمروا على كراهية الإيمان بالدين الجديد. ولقد استخدم هذا الدستور مصطلح الأمة، بمعنى الرعية السياسية المتعددة الديانات- فالمؤمنون أمة واحدة من دون الناس.. ولليهود دينهم وللمسلمين دينهم - فقرر التسوية في المواطنة وحقوقها وواجباتها، التي تحكمها مرجعية الإسلام)[٣٨].

المنهج النبوي في ترسيخ مبدأ المواطنة الصالحة وقيمها:

إن التربية النبوية للجيل المسلم الذي يريده الله سبحانه وتعالى، تهدف الى إيجاد مؤمنين صادقين حقا، او بالتعبير السياسي المعاصر مواطنين

---

[٣٨] - عمارة- محمد – صحيفة المدينة ودولة المواطنة- ٢٠١١/٩/٢٧ من على موقع صحيفة الوفد المصرية: www.alwafd.org

صالحين، ولم تكتفي بان يكونوا مسلمين بالقول فقط، او مجرد مواطنين حسب التعبير السياسي، نجد هذا في كثير من الآيات مثل قوله تعالى:

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}[٣٩] . { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }[٤٠].{ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[٤١].{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ}[٤٢].

يصف صاحب الضلال هذه العلاقة بين الإيمان والصلاح بالقول:(يقرن القران دائما بين الإيمان والعمل الصالح، كلما ذكر العمل والجزاء. فلا جزاء على إيمان عاطل خامد لا يعمل ولا يثمر، ولا على عمل منقطع لا يقوم على إيمان)[٤٣] .

ولقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر، فقام بكل ما يلزم من اجل أن يربيي ويعلم أتباعه أن يكونوا مؤمنين صادقين ومواطنين صالحين،(فإن أول ما تسعى إليه الدول الناهضة، هو توجيه عنايتها الكاملة لتربية مواطنيها ونشر الوعي بينهم، فالمواطن الصالح هو رأس المال الحقيقي في العملية التنموية بكل أبعادها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية)[٤٤].

وقد خطا النبي صلى الله عليه وسلم في إعداد وتنشئة مؤمنين صادقين او مواطنين صالحين خطوات منهجية دقيقة، أدت الى نتائج باهرة في ترسيخ مبدأ المواطنة الصالحة في نفوس أتباعه من خلال إيجاد أمرين هما :

-المثل الأعلى: ككل الأنبياء والمرسلين، كان النبي صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى ليس فقط بين قومه، بل للإنسانية جمعاء، ويكفي وصفا ومدحا له صلى الله عليه وسلم، وصف ربه سبحانه وتعالى له بالقول: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }[٤٥].

---

[٣٩] - سورة الأنفال – الآيات ٢-٤

[٤٠] - سورة الحجرات – الآية ١٥

[٤١] - سورة التغابن – الآية ١٦

[٤٢] - سورة العنكبوت – الآية ٧

[٤٣] -قطب- سيد – في ضلال القران – دار الشروق - القاهرة- ط١٧ – ١٤١٢ ه – ج٤ – ص ٢٣٩٧.

[٤٤] - أبو نوف – محمود خليل - تربية المواطنة من منظور إسلامي- مجلة كلية التربية – جامعة الأزهر – مصر – العدد (١٢٤) – ٢٠٠٤ – ص١ .

[٤٥] - سورة القلم – الآية ٤

بل انه صلى الله عليه وسلم كان مثلا أعلى حتى قبل أن يبعث بالرسالة السماوية، فكان أهل مكة من المشركين يلقبونه بالصادق الأمين، وكان المعادون له من المشركين لا يأتمنون على أموالهم إلا عنده صلى الله عليه وسلم، قبل النبوة وبعدها مع ما كان يلاقيه منهم، هذا مع المشركين في الأمور الدنيوية .

أما مع المسلمين فكان عليه الصلاة والسلام ارحم بهم وارأف بهم من الأم بولدها، فنال حبهم وملك قلوبهم، بأقواله وأعماله وسلوكه معهم، وهذا كله من فضل ومنة الله تعالى عليه، قال سبحانه: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}[٤٦].

ففي الأمور الدينية والتعبدية كان عليه الصلاة والسلام مثلا أعلى وقدوة للمسلمين، تروي أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنه:(أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكورا)[٤٧]. وفي الأمور الدنيوية كان عليه الصلاة والسلام مثلا أعلى في كل شي، في التواضع والشجاعة والإيثار والعفو والتسامح والتضحية، وفي كل خلق حسن، كان قدوة وأسوة للمسلمين، يقول سبحانه: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ}[٤٨].

فكان عليه الصلاة والسلام سباقا لكل خير ولكل مكرمة، ونحن هنا لسنا بصدد تعداد وإحصاء مكارمه وأخلاقه ومناقبه صلى الله عليه وسلم، فهذا الأمر لا أبلغه أنا ولن يبلغه غيري، ولكن فقط لتبيان المراد والوصول الى المقصود.

فكان عليه الصلاة والسلام مثلا أعلى يحتذى به في العدل، إذ بعث إليه قوم، زيد بن حارثة ليشفع لامرأة سرقت، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال:(والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[٤٩].

ومثلا أعلى في الشجاعة، فعن انس رضي الله عنه قال:(كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم، قد سبق الناس الى الصوت، وهو يقول:(لم تُراعوا، لم تُراعوا) وهو على فرس لأبي طلحة عُري ما عليه سرج، في عنقه سيف)[٥٠] .

---

[٤٦] - سورة آل عمران – من الآية ١٥٩

[٤٧] - صحيح البخاري – ج٤ – ص١٨٣٠ – رقم الحديث ٤٥٥٧ – مصدر سابق .

[٤٨] - سورة الأحزاب – من الآية ٢١

[٤٩] - البخاري – ج٤ – ص ١٥٦٦ – رقم الحديث ٤٠٥٣ – مصدر سابق

[٥٠] - المصدر نفسه –ج٥– ص٢٢٤٤– رقم الحديث ٥٦٨٦

ومثلا أعلى في التواضع، فعن انس رضي الله عنه:(إن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة، فقال: يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى اقضي لك حاجتك، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها)[٥١].

ومثلا أعلى في حسن أخلاقه وجميل صفاته، فعن عائشة رضي الله عنها وأرضاها قالت:(ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قط بيده ولا امرأة ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل)[٥٢].

فمن اجل هذا ومثله أحب المؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا لا مثيل له، وصار قدوة وأسوة ومثلا أعلى لهم، يحتذون به ويقلدونه ويسيرون على دربه. هذا الحب الذي أثار إعجاب ودهشة المشركين، جاء في صحيح الإمام البخاري أن قريشا أرسلت عروة بن مسعود الثقفي الى النبي صلى الله عليه وسلم ليفاوضه فلما رجع إليهم، قال لهم :(إي قوم، والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمدا، والله إن تنخم نخامة، إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدّون إليه النظر تعظيما له)[٥٣] .

ولم يثر حب المؤمنين لنبيهم ومدى إيمانهم به وإتباعهم له واستعدادهم للموت من اجله دهشة المشركين فقط، بل أثار غيظهم وحفيظتهم، ذلك انه لما اجتمع رهط من قريش ليشهدوا قتل الصحابي الجليل زيد بن الدثنة، سأله أبو سفيان قبيل مقتله محاولا أن يثنيه عن دينه، او أن يجعله ينال من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء، فخاطبه قائلا:(أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وانك في اهلك؟ قال :والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني جالس في أهلي، قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا، كحب أصحاب محمد محمدا، ثم قتله نسطاس يرحمه الله)[٥٤] .

لقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم أهمية وجود مثل أعلى وقدوة حسنة يسير على نهجها المؤمنون، فالنفس البشرية مجبولة بفطرتها على اتخاذ مثل أعلى تسير على نهجه وتقتدي به، فكان عليه الصلاة والسلام نعم المثل الأعلى، ونعم القدوة، ونعم الأسوة.

---

[٥١] - صحيح مسلم- ج٤ – ص١٨١٢ – رقم الحديث ٢٣٢٦ .
[٥٢] - المصدر نفسه – ج٤ – ص ١٨١٤- رقم الحديث ٢٣٢٨ .
[٥٣] - البخاري – ج٢ – ص٩٧٤ – رقم الحديث٢٥٨١-مصدر سابق.
[٥٤] - ابن هشام – ج٢ – ص ١٧٢- مصدر سابق.

بل انه صلى الله عليه وسلم من إيمانه بأهمية هذا الأمر، ودوره الكبير في تشكيل الشخصية المؤمنة الصادقة الصالحة(المواطن الصالح) أن جعل موضوع حبه صلى الله عليه وسلم وإتباعه والسير على نهجه وسنته، جزءا لا يتجزأ من موضوع الإيمان الراسخ الصادق(المواطنة الصالحة)، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال:(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)[٥٥] . وقال عليه الصلاة والسلام:(كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى، قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)[٥٦] .

-الإيمان بقضية: وهي الخطوة التالية التي خطاها النبي صلى الله عليه وسلم في منهجه التربوي، فقد سعى عليه الصلاة والسلام منذ بدء الدعوة أن يرسخ في قلوب المسلمين حب هذا الدين ونصرته، وان تكون هذه القضية هي محور حياتهم وشغلهم الشاغل، ذلك إن أساس أي عمل دنيوي ناجح هو وجود ثلاثة أبعاد فيها هي :قضية، ومشروع، وهدف:

* قضية يؤمن بها أتباعها ويضحون من اجلها بالغالي والنفيس:

وقد أسس رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الإيمان العميق بقضيته منذ بدء الدعوة، ليكون قدوة للمسلمين في هذا وليضرب أروع مثل في التضحية والإيمان، ومن ذلك انه لما أبلغ سادة قريش عمه أبا طالب بأنهم ضاقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ودعوته ذرعا، وأنهم سيفتكون به إذا لم يترك قضيته وما يدعو إليه،كان جوابه لهم: (يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن اترك هذا الأمر، حتى يظهره الله او اهلك فيه، ما تركته)[٥٧] .

وكان عليه الصلاة والسلام يحث صحابته الكرام على تحمل الأذى، في سبيل نصرة قضيتهم والتضحية والصبر من اجلها، وان هذه التضحيات وهذا الصبر والتحمل هو مفتاح النصر بإذن الله تعالى، وذلك لما جاءه بعض الصحابة الكرام يشكون اليه أذى المشركين لهم. يروي الإمام البخاري، عن خباب بن الارتَ، قال:(شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا. قال: كان

---

[٥٥] - البخاري – ج١- ص١٤- رقم الحديث ١٥- مصدر سابق .

[٥٦] - المصدر نفسه– ج٦ – ص ٢٦٥٥ – رقم الحديث ٦٨٥١ .

[٥٧] - ابن هشام – ج١ – ص٢٦٦ – وقد أخرجه ابن اسحق مرسلا . وقال الشيخ الألباني عنه: هذا إسناد ضعيف معضل وقال: وقد وجدت للحديث طرقا أخرى بسند حسن لكن بلفظ:(ما أنا بأقدر على أن ادع لكم ذلك على أن تشعلوا لي منها شعلة - يعني الشمس-) وقد خرجته في الأحاديث الصحيحة برقم ٩٢، ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة –ج٢-ص٣١١- برقم ٩٠٩ .وقد أورده أبو يعلى في مسنده وقال عنه حسين سليم أسد بأن إسناده قوي، ينظر: مسند أبي يعلى- ج١٢– ص١٧٦ .

الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيُجعل فيه، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم او عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)[٥٨].

*ومشروع يستنيرون به ويسيرون على هديه:

وقد وضح رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين هذا المشروع، بصورة جلية لا يعتريها لبس، فقال:(إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي)[٥٩].

*وهدف يحققونه ويصلون اليه:

أهداف عدة لدعوته صلى الله عليه وسلم، وضعها وبيّنها للمسلمين وكلها تكمل بعضها، وهي بمجموعها مستندة الى الأهداف التي وضعها الله سبحانه وتعالى لنبيه ليحققها، مثل قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ }[٦٠]. وقوله تعالى: { فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ }[٦١]. وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا }[٦٢]. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأهداف للمسلمين في كثير من الأحاديث، منها قوله صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت

---

[٥٨] - البخاري – ج٣ – ص١٣٢٢ – رقم الحديث ٣٤١٦ – مصدر سابق .

[٥٩] - الحاكم – أبو عبدالله بن محمد بن عبدالله – المستدرك على الصحيحين – تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٠ – ج١- ص١٧٢ – رقم الحديث ٣١٩ . وسكت عنه الحاكم =والذهبي. وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الحاكم ايضا برقم ٣١٨ وصححه. ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٧٦١ . وله ما يؤيده في صحيح مسلم مما رواه جابر بن عبدالله مرفوعا : (وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله ...) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في كتاب الحج – ج٢ – ص٨٩٠ برقم ١٢١٨.

[٦٠] - سورة الأنبياء – الآية ١٠٧

[٦١] - سورة الرعد – من الآية ٤٠

[٦٢] - سورة الأحزاب – الآيات ٤٥ - ٤٦

لأتمم صالح الأخلاق)[٦٣] . وقوله صلى الله عليه وسلم : (إنما أنا رحمة مهداة)[٦٤].

*وبما الموضوع هو الإسلام وهو موضوع يجمع بين الدين والدنيا فقد أضاف النبي صلى الله عليه وسلم بعدا رابعا هو الغاية: وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها المسلمين بكل وضوح وبكل بساطة، وذلك لما اجتمع إليه وفد الأنصار في بيعة العقبة الثانية:(عن عاصم بن عمرو بن قتادة إن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال العباس بن نضلة الأنصاري اخو بني سالم بن عوف: يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فان كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه، فمن الآن فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة ،قالوا: فانا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا يا رسول الله إن نحن وفَينا بذلك، قال: الجنة. قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه)[٦٥] .

فكانت الرؤية واضحة تماما عند جميع المسلمين: راعيهم ورعيتهم، كبيرهم وصغيرهم، رجالهم ونسائهم. تجسد هذا الوضوح في الرؤية، وهذا الفهم العميق للإسلام، ودور المسلم فيه ووظيفته تجاه دينه وأمته وبلده ودولته، في كلمات بسيطات على لسان مواطن صالح بسيط خلده التاريخ بسببها، ولولا هذه الكلمات لما عرفه احد قط، وذلك أن رستم قائد الفرس في معركة القادسية وقبل بدء المعركة أراد أن يتعرف على ماهية وسر هذا الدين، وان يتعرف على سر أولئك الأعراب الذين كانوا الى وقت قريب يتمنى شريفهم أن يرى مجرد رؤية بلاد فارس، فإذا بهم الان يهددون وجودها، ويزلزلون كيانها، فأرسل الى قائد جيش المسلمين، أن ابعث لي رجلا منكم اكلمه، فأرسل له ربعي بن عامر، يروي الإمام الطبري ما دار بينهما من حديث:(قال له رستم: ما جاء بكم؟ قال: الله ابتعثنا، والله جاء بنا، لنخرج من شاء من عبادة

---

[٦٣] - حنبل – احمد بن حنبل – مسند الإمام احمد بن حنبل – تحقيق : شعيب الارناؤوط وآخرون – مؤسسة الرسالة – ٢٠٠١- ج١٤ – ص٥١٢ – رقم الحديث ٨٩٥٢ . وقال الشيخ شعيب : صحيح ، وهذا إسناد قوي ، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان ، فقد روى له مسلم متابعة وهو قوي الحديث وأخرجه الحاكم في المستدرك – ج٢ – ص٦١٣ ، وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة – ج١ – ص٤٥ .

[٦٤] - الحاكم – المستدرك – ج١ – ص٩١ – برقم ١٠٠ – وقال : صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي– وقال عنه الشيخ الألباني صحيح ، ينظر السلسلة الصحيحة ج١- ص٨٨٢ – برقم ٤٩٠ .

[٦٥] - ابن هشام – ج١ – ص ٤٢٩- مصدر سابق .

العباد الى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا الى سعتها، ومن جور الأديان الى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه أبدا، حتى نفضي الى موعود الله . قال : وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي.... قال رستم: أسيدهم أنت ؟ قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض، يجير أدناهم على أعلاهم)[٦٦].

فهل ترجو الحكومات من مواطنيها اليوم فهما وإخلاصا لوطنهم وشعبهم وقضيتهم أكثر من هذا الفهم والإخلاص والوطنية، ألا تنفق الدول اليوم الأموال الطائلة من اجل ان تخرج جيلا او حتى أفرادا يحملون مثل هذا الوفاء والحب لدولتهم ولأمتهم، ان ربعي بن عامر وأمثاله هم نتاج تربية محمد صلى الله عليه وسلم، الذين فتحوا الدنيا وملئوها عدلا ورحمة ونورا، بعد أن ملئت ظلما وجورا.

مخرجات المنهج النبوي في التربية على قيم المواطنة الصالحة:

مصطلح القيم شأنه شان كل المصطلحات الإنسانية التي تتنوع تعريفاتها ومفاهيمها حسب العلم الذي يخوض فيها، وحسب الكاتب وخلفيته الدينية او الفكرية او المذهبية او العرقية.. الخ. ولكن التعريف الذي سنعتمده للقيم أنها : المفاهيم الكلية الايجابية الباعثة على إيجاد شعور او مبدأ او سلوك او مهارة نابعة من الشريعة الإسلامية .

إن من البديهي القول بان قيمة أي امة هي بمقدار ما تحمله من قيم، ذلك:(أن القيم المبنية على أسس وعقيدة وأخلاق، تكون سببا في ظهور الأمة وسيادتها ومنعتها، وهي ذاتها عندما تغيب تكون سبب انهيار إمبراطوريات وزوال أمم، كما أن ظهور شتى أنواع الإجرام المعاصر، والأمراض والتخلف والفساد وضعف الانتماء كان وراءه في الأساس أزمة قيم)[٦٧] .

وقد رأينا كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم عمل على ترسيخ مبدأ المواطنة الصالحة وتعزيز قيمها، وكيف كان عليه الصلاة والسلام بنفسه أنموذجا وقدوة ومثلا أعلى للمسلمين في هذا الأمر، فكان من الطبيعي أن تكون مخرجات هذه التربية النبوية على قدر جهد المربي وصدقه وإخلاصه، فجاء جيل الصحابة رضوان الله عليهم، جيلا بمواصفات فريدة، أراده الله سبحانه وتعالى أن يكون كذلك، حتى يكون قدوة للأجيال المسلمة من بعدهم .

---

[٦٦]- الطبري – أبو جعفر محمد بن جرير– تاريخ الرسل والملوك– دار التراث – بيروت– ط٢–١٣٨٧– ج٣ – ص٥٢٠

[٦٧] - القحطاني – عبدالله بن سعيد آل عبود- قيم المواطنة لدى الشباب وإسهامها في تعزيز الأمن الوقائي – أطروحة دكتوراه – ٢٠١٠ – جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية – الرياض – ص٢٧

ونعيد القول هنا بأننا عندما نتحدث عن المواطنة الصالحة فإننا نقصد الإيمان والعكس صحيح، وعندما نتحدث عن قيم المواطنة الصالحة فإننا نقصد قيم الإيمان والعكس صحيح .

ومن الأمثلة على تطبيقات تلك القيم عند الجيل الذي رباه رسول الله صلى الله عليه وسلم:

- قيمة العدل: لا إسلام ولا إيمان بلا عدل، ولا مواطنة بلا عدل، بل انه لا حياة بلا عدل، ومن حب الله تعالى للعدل، وبغضه للظلم انه سبحانه، وكما اخبر عنه نبيه صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي الشريف، يقول: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)[٦٨].

ومن شدة حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تربية صحابته الكرام على حب العدل وبغض الظلم، أن أصبحت مفردة العدل وكأنها تسير في الوعي واللاوعي عند الصحابة، حتى أصبح العدل سجية من سجاياهم، بل جزءا لا يتجزأ من شخصياتهم.

والأمثلة على هذا تغص بها الكتب التي تناولت عهد الصحابة الكرام،منها ما حدث قبل معركة اليرموك، وذلك أنّه: (لمّا جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك، ردّوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، قالوا لهم: قد شُغِلنا عن نُصرتكم والدفع عنكم، فأنتم على أمركم)[٦٩].

لقد جسّد المسلمون بهذا العمل، هويتهم ومبادءهم وقيمهم التي تربوا عليها وحولوها إلى واقع عملي. فالعدل مع الناس-مسلمين أو غير مسلمين- مَعْلَم بارز من معالم ديننا وهويتنا الإسلامية، فلا يمكن أن يتصور وجود شخص مؤمن وظالم في نفس الوقت، ذلك أن مصطلح العادل مرادف مصطلح المؤمن ونقيض مصطلح الكافر، ومصطلح الظالم مرادف مصطلح الكافر ونقيضٌ مصطلح المؤمن.

فنجد تربية محمد صلى الله عليه وسلم قد آتت ثمارها في تصرف المسلمين تجاه أهل حمص، إذ كانت النتيجة خيراً كثيراً، فقد دُهش أهل حمص مما سمعوا، فكان جوابهم:(لولايتكم وعدلكم أحبّ إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولندفعنّ جند هرقل عن المدينة مع عاملكم. ونهض اليهود فقالوا: والتوراة، لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلاّ أن تُغلب ونَجهد. فأغلقوا الأبواب، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النّصارى واليهود، وقالوا: إن

---

[٦٨] - صحيح مسلم – ج٤ – ص١٩٩٤ – رقم الحديث ٢٥٧٧- مصدر سابق .

[٦٩]- البلاذري– أبو الحسن احمد بن يحيى- فتوح البلدان-تحقيق: رضوان محمد رضوان- مطبعة السعادة- مصر- ١٩٥٩م - ص١٤٣.

ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه، وإلاّ فأنّ أمرنا ما بقي للمسلمين)[٧٠] .

-قيمة الحرية: إن أعظم حرية يمكن أن ينعم بها الإنسان في الدنيا هي أن يكون عبدا لله وحده لا شريك له، وهذا النوع من الحرية لا يوجد إلا في كنف الديانة الإسلامية، قال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[٧١] .

ومع هذا فقد أعلت الشريعة الإسلامية شان حرية البشر الى درجة الحرية في اختيار الدين، قال تعالى:{ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ }[٧٢] .

يقول الشهيد سيد قطب في تفسير هذه الآية: (وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه، وهذه هي اخص خصائص التحرر الإنساني)[٧٣] .

فالجميع يأخذون حريتهم في كنف الدولة الإسلامية وبرعايتها، هكذا أمرنا رب العزة، وهكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في التعامل مع هذا الموضوع، وهكذا علم صحابته الكرام أن يفعلوا.

فعندما فتح المسلمون بيت المقدس صلحا، اشترط أهلها أن يأتي الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنفسه ليعقد الصلح بينهم، وليسلموه مفاتيح بيت المقدس، (فلما دخل عمر بن الخطاب بيت المقدس، وجاء كنيسة القيامة فجلس في صحنها، وحان وقت الصلاة، قال للبطريارك: أريد الصلاة، فقال له: صل موضعك، فامتنع، وصلى على الدرجة التي على باب الكنيسة منفردا، فلما قضى صلاته، قال للبطريارك: لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون بعدي، وقالوا هنا صلى عمر. وكتب لهم: أن لا يجمع على الدرجة للصلاة ولا يؤذن عليها)[٧٤] .

-قيمة المساواة: واحدة من أهم القيم التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، وهي أن الناس كلهم سواء، الا بما فضل الله بعضهم على بعض، وهذه القيمة مستنبطة من كثير من آيات القران الكريم منها قوله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[٧٥] .

---

[٧٠] - المصدر نفسه – ص١٤٣

[٧١] - سورة ص – الآية ٦٥

[٧٢] - سورة البقرة – من الآية ٢٥٦

[٧٣] - قطب – سيد – في ضلال القران - ج١ – ص٢٩١- مصدر سابق .

[٧٤]- ابن خلدون – عبد الرحمن بن محمد بن محمد – مقدمة ابن خلدون – تحقيق: خليل شحاذة – دار الفكر – بيروت – ط٢ – ١٩٨٨– ج٢– ص٢٦٨

[٧٥] - سورة الحجرات – من الآية ١٣

ومن حديث النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع:(يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وان أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا احمر على اسود، ولا اسود على احمر، إلا بالتقوى)[٧٦].

فانطلق صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لينشروا هذه المبادئ للعالم كله، ومما يروى في هذا انه حدث في زمن خلافة عمر بن الخطاب أن جبلة بن الأيهم وكان ملك الغساسنة اسلم، وكتب الى عمر يستأذنه في القدوم عليه، فأذن له عمر، فلما جاء استقبله عمر رضي الله عنه واحتفى به، ثم أن عمرا رضي الله عنه خرج الى الحج، فخرج معه جبلة، فبينما هو يطوف بالبيت، وطئ إزاره رجل من بني فزاره فانحل، فرفع جبلة يده فهشم انفه، فاستعدى عليه عمر، فبعث الى جبلة، فقال: ما هذا، قال: نعم يا أمير المؤمنين، انه تعمد حل إزاري ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف، فقال له عمر: قد أقررت، فإما أن ترضي الرجل، وإما أن أقيد منك، قال جبلة: تصنع بي ماذا ؟ قال: آمر بهشم انفك كما فعلت، قال: كيف ذلك وهو سوقة وأنا ملك، قال: إن الإسلام جمعك وإياه، فلست تفضله إلا بالتقوى، قال جبلة: قد ظننت أني أكون في الإسلام اعز مني في الجاهلية، قال عمر: دع ذا عنك فانك إن لم ترض الرجل اقتدته منك [٧٧].

- قيمة الانتماء: الانتماء احد أركان المواطنة الصالحة التي لا تقوم إلا بها، فلا يمكن أن يتصور مواطن صالح بدون أن يتوفر فيه هذا الرابط الشعوري السلوكي، القوي والمتين، بأرضه او بدينه او بقضيته او بقومه وجماعته، وهي كلها مجموعة في الدين الإسلامي .

وقد أسس الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا الانتماء حينما صدر الأمر الإلهي للمسلمين جميعا بوجوب الهجرة الى يثرب – المدينة المنورة – فكان ارتباط المسلمين بأرضهم الجديدة وحبهم لها وانتمائهم إليها ارتباطا قويا متينا مبنيا على:

* أسباب دينية: لصدور الأمر الإلهي بالهجرة إليها، وعدم قبول أي عذر بالتخلف عن هذه الهجرة إلا لأسباب قاهرة حددها الله سبحانه وتعالى، وهو ما

---

[٧٦] - مسند الإمام احمد– ج٣٨ – ص٤٧٤ –رقم الحديث ٢٣٤٨٩- وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح . وذكره الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة _ج٦ – ص٤٤٩ – برقم ٢٧٠٠ –وقال عن رواية احمد : وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير من سمع خطبته صلى الله عليه وسلم فانه لم يسم وذلك مما لا يضر لأنه صحابي والصحابة كلهم عدول كما هو مقرر .

[٧٧] -ينظر: ابن الجوزي– جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد– المنتظم في تاريخ الملوك والأمم– تحقيق:محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا– دار الكتب العلمية–بيروت-١٩٩٢–ج٥–ص ٢٥٦

نجده في قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا } [٧٨] .

وقوله عليه الصلاة والسلام:(أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد)[٧٩].

* وأسباب سياسية : لان المدينة مهيأة الآن لتكون نقطة الانطلاق للدعوة الى دين الله سبحانه وتعالى، ولأنها المكان الذي سيشهد إقامة الدولة الإسلامية، ولأنها المكان الذي سيستطيع فيه المسلم أن يعيش فيه بأمان واطمئنان على نفسه ودينه، وان يمارس شعائره الدينية بحرية وكرامة ولا يضايقه فيها احد.

* وأسباب عاطفية : لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } [٨٠] .

وقوله صلى الله عليه وسلم،:(اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو اشد) [٨١] . وقوله ايضا صلى الله عليه وسلم:(لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وَشِعباً لسلكت وادي الأنصار وَشِعَبها)[٨٢] .

فكانت النتيجة، أن المسلمين أصبحوا على استعداد لان يضحوا بحياتهم وبكل يملكون من اجل الوصول الى هذه الأرض، ومثال ذلك الصحابي الجليل صهيب الرومي، يروي الإمام سعيد بن المسيب قال:(خرج صهيب مهاجرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتبعه نفر من المشركين، فنثر كنانته، وقال لهم: يا معشر قريش قد تعلمون أني من أرماكم، والله لا تصلون إليَ حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي منه في يدي شيء، فان كنتم تريدون مالي دللتكم عليه. قالوا :فدُلنا على مالك وتُخلّي عنك. فتعاهدوا على ذلك، فدلهم ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ربح البيع أبا يحيى)[٨٣] .

- قيمة الولاء: لا يمكن لأية امة او جماعة يحمل أفرادها قضية، ويمتلكون مشروعا، ويسعون للوصول الى هدف وغاية، أن ينجحوا في ذلك بدون أن يمتلكوا الولاء الجاد والعميق لقضيتهم، بل أن تكون قيمة الولاء هذه منغرسة

---

[٧٨] - سورة النساء – الآيات (٩٧-٩٨-٩٩)
[٧٩] - البخاري – ج٢ – ص٦٦٢ – رقم الحديث ١٧٧٢- مصدر سابق .
[٨٠] - سورة الأنفال – الآية ٧٢
[٨١] - البخاري – ج٢ – ص٦٦٧ – رقم الحديث ١٧٩٠- مصدر سابق .
[٨٢] - المصدر نفسه – ج٤- ص١٥٧٤- رقم الحديث ٤٠٧٥
[٨٣] - الحاكم – المستدرك – ج٣ – ص٣٩٨ – برقم ٥٧٠٠ – وقال عنه : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه ، ووافقه الذهبي .

في أعماقهم، وقد أكد القران الكريم على المسلمين في مواضع كثيرة وجوب أن يكون ولاءهم الأول لله ولدينه ولرسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } [٨٤] .

وايضا قوله تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا } [٨٥] .

وقال عليه الصلاة والسلام:(كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ن قالوا ومن يأبى يا رسول الله قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) [٨٦] .

فلا ولاء بلا طاعة ولا طاعة بلا ثقة بمن يطيع، فكانت الثقة التي رسخها رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفوس صحابته الكرام لا تشوبها شائبة في أحلك الظروف والمواقف، وكانت النتيجة ولاءً منقطع النظير من الصحابة الكرام به صلى الله عليه وسلم وبقضيته ودعوته، نجد هذا في مواقف كثيرة للصحابة رضوان الله عليهم.

منها ما حدث في الساعة التي أعلن فيها عن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان حال المدينة المنورة وحال ساكنيها، كأن زلزالا مدمرا أصابهم من شدة الغم والهم والحزن الذي حل بهم، وكان الانهيار باديا عليهم، وألسنة المنافقين تلجلج هنا وهناك أن انتهى أمركم أيها المسلمون، ووصلت قصتكم الى نهايتها، وماتت قضيتكم بموت نبيكم، فعودوا الى ما كنتم عليه. فإذا بوقفة شامخة من أبي بكر الصديق، أعادت الأمور الى نصابها، والعقول الى أصحابها، فصاح في الناس:(أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فان محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت، قال الله تعالى:{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ } [٨٧] الى قوله تعالى: (الشاكرين) وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله انزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرا إلا يتلوها) [٨٨] .

وموقف آخر من أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه، في حوار جرى بينه وبين ابنه، شعر فيه انه حوار يمس من عقيدته وولائه لله ولرسوله ولقضيته، وذلك:(أن عبد الرحمن بن أبي بكر، قال لأبيه بعدما اسلم: يا أبت، لقد أهدفت لي يوم بدر مرارا فصدفت عنك، فقال: والله لو كنت أهدفت لي ما

---

[٨٤] - سورة المائدة – الآية ٥٥
[٨٥] - سورة الأحزاب – الآية ٣٦
[٨٦] - البخاري – ج٦ – ص ٢٦٥٥ – رقم الحديث ٦٨٥١ – مصدر سابق .
[٨٧] - سورة آل عمران – الاية ١٤٤
[٨٨] - البخاري – ج٤ – ص١٦١٨ – رقم الحديث ٤١٨٧ – مصدر سابق .

صدقت عنك)[٨٩] . لقد كان ولاء الصحابة الكرام لله ولدينه ولرسوله ثابتا لا يتزعزع سواء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أم بعد مماته.

-قيمة حفظ الكرامة الإنسانية: في الشريعة الإسلامية، ليس هناك مخلوق أكرم على الله تعالى من الإنسان، اسجد له ملائكته، وجعله خليفته على أرضه، وسخر له كل ما في الكون لخدمته، وفضله على سائر خلقه، فإذا كان الخالق جل وعلا ينظر الى الإنسان هذه النظرة، فمن باب أولى بالإنسان أن يعرف قيمة نفسه، ويحفظ لها كرامتها، فلا يهين نفسه بان يشرك مع الله إلها آخر.

وايضا من حرص الله سبحانه وتعالى على حفظ كرامة البشر، يعلمنا سبحانه سلوكا راقيا في هذا المجال، فيقول عز من قائل : {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }[٩٠].

ولقد عزز الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا الحرص على كرامة الإنسان وقدره وقيمته بطرق وأساليب شتى علمها للصحابة الكرام، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:(لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها، فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسال الناس أعطوه او منعوه)[٩١]. وقال ايضا عليه الصلاة والسلام :(اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فان الأمور تجري بالمقادير)[٩٢].

وقد تلقف الصحابة الكرام هذه التعاليم من نبيهم صلى الله عليه وسلم، فكانت كرامة الإنسان عندهم في المقام الأول، ومكانتها لا تدانيها مكانة:(مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت، فقال: يهودي، قال: فما ألجأك الى ما أرى، قال: اسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر

---

[٨٩] - السهيلي – أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن احمد – الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام – تحقيق: عمر عبد السلام السلامي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠٠ – ج٥– ص١١١

[٩٠] - سورة البقرة – الآيات ٢٦١-٢٦٤

[٩١] - البخاري - ج٢ - ص ٥٣٥ – رقم الحديث ١٤٠٢- مصدر سابق .

[٩٢] - البجلي – أبو القاسم تمام بن محمد بن عبدالله بن جعفر- الفوائد – تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي – مكتبة الرشد – الرياض – ١٤١٢ ه – ج١ – ص٨٥ – رقم الحديث ١٩٤.وأخرجه الضياء في المختارة –ج٩- ص٥٢ –رقم الحديث ٢٨. وقال عنه الشيخ الألباني : ضعيف .انظر: السلسلة الضعيفة – ج٣ – ص٥٧٣ – برقم ١٣٩٠ .

بيده وذهب به الى منزله، فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل الى خازن بيت المال، فقال له: انظر هذا وضرباؤه، فوالله ما أنصفناه، أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم)[٩٣] .

الخاتمة

وبعد، فها نحن على وشك نهاية قرن على اتفاقية سايكس بيكو، التي يعنيني منها هنا أنها شرعنت وأسست للدولة ذات الهوية الوطنية او المشروع الوطني، وساندت وساعدت أصحاب هذا التوجه بطريقة او بأخرى، بصورة مباشرة او غير مباشرة، بالوصول الى سدة الحكم في البلاد العربية، بعد صراع فكري وسياسي بينها وبين أصحاب المشروع ذي الهوية الإسلامية، او حتى أصحاب المشروع ذي الهوية القومية [٩٤].

فهل بعد مائة عام من الحكم نجحت الدولة الوطنية في البلاد العربية المسلمة، في بناء دولة المواطنة التي وعدت شعوبها بها، وهل نجحت فعلا في بناء (مواطن صالح) يمارس مواطنيته الكاملة بكل ما فيها من حقوق وواجبات !!؟

إن دولة المواطنة تحتاج أولا الى قادة يؤمنون حقا بالمواطنة، تحتاج أولا الى قادة ينظرون الى أنفسهم من خلال مواقعهم ومناصبهم على أنهم رعاة مسؤولون عن رعيتهم، يحملون الخير لهم ويعملون معهم سوية على بناء وطن قوي آمن مستقر، وتأسيس حياة هانئة كريمة، يشعر فيها المواطن بكرامته وحريته. فهل منحت الدولة الوطنية بعد مائة عام هذا الشعور وهذا الإحساس لمواطنيها في الدول العربية !؟

إن دولة المواطنة لا تبنى إلا بالقيم السامية النبيلة والأصيلة، فهل بعد مائة عام على حكم الدولة الوطنية استطاعت فعلا أن تبني وتغرس وتربي وتؤسس وترسخ في قلوب وعقول ونفوس وسلوك مواطنيها هذه القيم، او أن تمارسها هي على شعوبها فتعاملهم بها !؟

لقد استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم كما رأينا في هذا البحث وفي عقدين من الزمن من خلال المنهج الذي اتبعه أن يؤسس لدولة المواطنة، وان يبني لهذه الدولة قيما سامية عاشت بها، وفي ظلها قرونا من السنين، فصنع رعية هذه الدولة من هذه القيم أعظم حضارة عرفتها البشرية، قدمت للإنسانية علوما ومعارف، وفنونا وأخلاق، ما لم تقدمه حضارة قط .

---

[٩٣] - أبي يوسف- يعقوب بن إبراهيم بن حبيب – الخراج – تحقيق: عبد الرءوف سعد وسعد حسن محمد – المكتبة الأزهرية للتراث – بدون (ت)- ج١ ص١٣٩

[٩٤] - ينظر : العاني – خليل نوري- الهوية الإسلامية في ظل العولمة الثقافية – منشورات ديوان الوقف السني – بغداد – ٢٠٠٩ – ص٦، ٢٠

فإذا كنا نمتلك مثل هذه التجربة الناجحة في بناء دولة المواطنة، ونمتلك هذا الرصيد من هذه القيم السامية التي خلّفها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي ربى صحابته عليها فحملوها من بعده وحكموا العالم بها، وعلموها للناس ونشروها بينهم . فلماذا نزهد بها الآن ولماذا نهملها !! ولماذا نشرق بأفكارنا ونغرب بحثا عن نماذج نقتدي بها او عن قيم نربي أبنائنا ومجتمعاتنا عليها، وخير منها موجود عندنا وبين أيدينا، لا تحتاج سوى لمن يأخذ بها ويعمل بموجبها. والكلام هنا موجه للراعي قبل الرعية .

إن أزمة القيم التي نعاني منها اليوم، هي في اعتقادي بسبب أزمة الثقة الموجودة بين الراعي والرعية، ولهذا مهما حاول المسؤولون سواء الحكام او السياسيون او التربويون، أن يرسخوا القيم وبالأخص منها قيم المواطنة، في نفوس الجيل فلن يفلحوا، ما دامت أزمة الثقة هذه موجودة، بل ومستفحلة. والحل هو في أن يؤمن الحكام أولا بمفهوم المواطنة الصالحة، وان يكونوا هم قبل رعيتهم مواطنين صالحين، يؤمنون بالمواطنة الصالحة ويتحلون بقيمها ويعملون بها، حتى يكونوا قدوة لرعيتهم، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة لرعيته .

إن ما ذكرته في هذا البحث ما هو إلا غيظ من فيض من المنهج النبوي في التربية على القيم والسلوك الحسن، وإنني أدعو من خلاله كل المعنيين والمهتمين بموضوع تربية الجيل وإصلاح المجتمع وتعزيز القيم في نفوس الناس وإسقاطها على سلوكياتهم وتعاملاتهم، الى أن ينهلوا من السيرة النبوية العطرة والمنهج النبوي الشريف في التربية على القيم الإيمانية، والتي هي بالمحصلة قيم المواطنة الصالحة، التي أنتجت في الماضي ما اصطلح عليه باسم (المؤمن) او ما يسمى بالمفهوم السياسي اليوم (المواطن الصالح)، والذي هو هدف وغاية كل دولة تريد أن تبني نفسها وتصلح مجتمعها وان ينظر إليها الآخرون بعين الاحترام والتقدير .

هذا ما اجتهدت فيه فان كان صوابا فمن الله، وان كان غير ذلك فمن نفسي. فالحمد لله أولا، والحمد لله آخرا .

المصادر

-القران الكريم

١-الألباني – محمد ناصر الدين بن نوح بن نجاتي- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض – ١٩٩٥

٢- الألباني – محمد ناصر الدين- صحيح الجامع الصغير وزياداته – المكتب الإسلامي-بدون ذكر تاريخ النشر

٣- الألباني- محمد ناصر الدين- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة – دار المعارف – الرياض -١٩٩٢
٤-البخاري – محمد بن إسماعيل – صحيح البخاري – تحقيق : مصطفى ديب البغا – دار ابن كثير – اليمامة – بيروت- ط٣- ١٩٨٧
٥- البجلي – أبو القاسم تمام بن محمد بن عبدالله بن جعفر- الفوائد – تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي – مكتبة الرشد – الرياض – ١٤١٢
٦- البلاذري – أبو الحسن احمد بن يحيى - فتوح البلدان - تحقيق : رضوان محمد رضوان - مطبعة السعادة - مصر - ١٩٥٩
٧- البيهقي – احمد بن الحسين بن علي أبو بكر – شعب الإيمان – تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد – مكتبة الرشد – الرياض – ط١ – ٢٠٠٣
٨- جابر – ياسر حسن عبد التواب - المواطنة في الشريعة الإسلامية – دار المحدثين – القاهرة- ٢٠١١
٩- ابن الجوزي– جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد– المنتظم في تاريخ الملوك والأمم– تحقيق:محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا– دار الكتب العلمية–بيروت-١٩٩٢
١٠- الحاكم – أبو عبدالله بن محمد بن عبدالله – المستدرك على الصحيحين – تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٠
١١- ابن حبان – محمد بن حبان بن احمد بن حبان – صحيح ابن حبان – تحقيق : شعيب الارنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢ – ١٩٩٣
١٢- ابن حنبل - أبو عبدالله احمد بن حنبل بن هلال بن أسد – مسند الإمام احمد بن حنبل – تحقيق : شعيب الارناؤوط – عادل مرشد وآخرون – مؤسسة الرسالة– ٢٠٠١
١٣- خطاب – حسن السيد – حقوق المواطنة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة – ص١٢- من على الموقع: www.saaid.net
١٤- الخلال – أبو بكر احمد بن هارون – السنة – تحقيق : عطية الزهراني – دار الراية – الرياض – ط١- ١٩٨٩
١٥- ابن خلدون – عبد الرحمن بن محمد بن محمد – ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر – تحقيق: خليل شحاذة – دار الفكر – بيروت – ط٢ – ١٩٨٨
١٦- ابن زنجويه – أبو احمد حميد بن مخلد بن قتيبة – الأموال تحقيق : شاكر ذيب فياض – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – السعودية – ط١ – ١٩٨٦
١٧- السهيلي – أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن احمد – الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام – تحقيق: عمر عبد السلام السلامي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠٠

١٨- ابن شبة – عمر بن شبة بن عبيدة – تاريخ المدينة- تحقيق: فهيم محمد شلتوت – ١٣٩٩ه - بدون ذكر مكان الطبع او دار النشر
١٩- ابن أبي شيبة – أبو بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار – تحقيق: كمال يوسف الحوت- مكتبة الرشد – بيروت- الرياض – ١٤٠٩ ه
٢٠- الطبري- محمد بن جرير بن يزيد ابو جعفر – جامع البيان في تأويل القران - تحقيق : احمد محمد شاكر- مؤسسة الرسالة - ط١- ٢٠٠٠
٢١- الطبري – أبو جعفر محمد بن جرير – تاريخ الرسل والملوك – دار التراث – بيروت – ط٢ – ١٣٨٧ه
٢٢- العاني – خليل نوري- الهوية الإسلامية في ظل العولمة الثقافية – منشورات ديوان الوقف السني – بغداد – ٢٠٠٩
٢٣- ابن أبي العز – صدر الدين محمد بن علاء الدين علي محمد الدمشقي – شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق جماعة من العلماء – دار السلام للطباعة والنشر – مصر – بدون(ت)
٢٤- عمارة- محمد – صحيفة المدينة ودولة المواطنة- ٢٠١١/٩/٢٧ من على الموقع: www.alwafd.org
٢٥-- العناقرة – محمد محمود - البواعنة – لؤي إبراهيم ، والدمنهوري – محمد سعيد – التربية الوطنية – ط١ - دار حنين للنشر والتوزيع- الأردن - ٢٠٠٨
٢٦- القحطاني – عبدالله بن سعيد آل عبود- قيم المواطنة لدى الشباب وإسهامها في تعزيز الأمن الوقائي – أطروحة دكتوراه – ٢٠١٠ – جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية – الرياض
٢٧- قطب- سيد – في ضلال القران – دار الشروق - القاهرة- ط١٧ – ١٤١٢ ه
٢٨- اللحيدان – عبدالله بن فهد – السياسة الشرعية بين الثيوقراطية والعلمانية : مفهوم المواطنة أنموذجا - ورقة عمل مقدمة لمؤتمر المسلمون بين السياسة الشرعية والبدائل المعاصرة – القيروان – تونس- ديسمبر ٢٠١٤ – من على الموقع : www.kep.org.sa
٢٩- عبد اللطيف – سامر مؤيد-المواطنة واشكالياتها في ظل الدولة الإسلامية – مجلة الفرات - العدد ٧ – ٢٠٠٩ – مركز الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية -كربلاء – من على موقع المركز على الانترنت: www.fcdrs.com
٣٠- الماوردي – أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب – الأحكام السلطانية-دار الحديث القاهرة – بدون (ت)

٣١- مسلم – أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري – صحيح مسلم – تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت-بدون (ت)
٣٢-المقدسي-ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد بن احمد بن عبد الرحمن السعدي-المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما-تحقيق:عبد الملك بن عبدالله بن دهيش- ط٣-دار خضر للطباعة والنشر -بيروت- ٢٠٠٠
٣٣- ابن منظور – محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين– لسان العرب – دار صادر – بيروت – ط٣ – ١٤١٤ ه
٣٤- ابن هشام – عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري – السيرة النبوية – تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر – ط٥ – ١٩٥٥
٣٥- أبو نوف – محمود خليل - تربية المواطنة من منظور إسلامي- مجلة كلية التربية – جامعة الأزهر – مصر – العدد (١٢٤) – ٢٠٠٤
٣٦- الواقدي – محمد بن عمر بن واقد السهمي – المغازي – تحقيق :مارسدن جونز – ط٣ - دار الاعلمي – بيروت – ١٩٨٩
٣٧- ولد يب – سيدي محمد – الدولة الراعية في الإسلام – دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع – الأردن – ٢٠١٥
٣٨-أبو يعلى – احمد بن علي بن المثنى بن يحيى- مسند أبي يعلى –تحقيق: حسين سليم أسد- دار المأمون للتراث- دمشق- ١٩٨٤
٣٩- أبي يوسف- يعقوب بن إبراهيم بن حبيب – الخراج – تحقيق: عبد الرءوف سعد وسعد حسن محمد – المكتبة الأزهرية للتراث – بدون (ت)